المقال السابع

حروب صليبية صارخة وأخرى في ثياب دبلوماسية والهدف واحد هو ضرب الإسلام والمسلمين

نعيش هذه الأيام ظروفاً سيئة في العالم الإسلامي وهو يواجه الهجمة الصليبية الحديثة التي لا صلاح الدين لها. لقد جرب العالم الأوروبي مع الشرق الإسلامي حروباً صليبية في القرن الحادي عشر الميلادي كانت هذه الحروب لها أهداف عديدة من هذه الأهداف الدوافع الدينية. قاد هذه الحروب (ايربان) وبطرس الناسك واشترطوا على من يشترك فيها أن يحمل علامة الصليب. وأخذ ايربان ينتقل بين المدن والبلدان داعياً لهذه الحرب كأنه يقوم بالدور الذي يقوم به توني بلير في هذه الأيام متنقلاً بين الدول مع الفارق ذاك كان ينتقل في أوروبا وهذا ينتقل في بلاد العالم الإسلامي. وطلب البابا من الأساقفة أن يبشروا للحروب الصليبية وهو ضرب من ضروب إعلام ذلك الزمان وكان أشهر الدعاة الراهب الطواف بطرس الزاهد.

وتجمعت الأسباب الدينية التي تجعل أهل الصليب يتأهبون لغزو العالم الإسلامي.

وردد بطرس الناسك لأصحابه لابد من الاستيلاء على البلاد التي تفيض عسلاً ولبناً بلاد الشرق الإسلامي. هذه الحروب القديمة أما الجديدة تطال البلاد التي تفيض بترولاً وهو كناية عن أن هذه البلاد بها مصادر الحياة متوفرة. كانت فلول بطرس الناسك لا يجمعها نظام وكان البابا يود أن تتجمع فلولهم في القسطنطينية كانت تلك الحروب عكس الحروب الحالية ذات النظم والبرمجة وهي متطورة الوسائل تواجهنا بالأسلحة الحديثة الطائرات بدون طيارين وأقمار صناعية وآلية لا قبل للضعفاء بها.

الحروب الصليبية الأولى كانت لها حجج باطلة وادعاءات جعلت جيوش الصليبية تنطلق نحو العالم الإسلامي منها ادعاؤهم أن المسيحيين المقيمين في البلدان الإسلامية يلقون معاملة سيئة من الحكام آنذاك. وهو ادعاء باطل في جملته من وجهة نظر الإسلام ومن حيث الواقع الذي عاشه الذين يحيون في بلاد العالم الإسلامي.

عاش العالم الإسلامي آنذاك ظروفاً سيئة كما هو الحال الآن هذه الظروف التي جعلت الصليبيين يغزوه إذ سيطرت عليه الآفات المذهبية وتنازعه الأفراد.

شاركت في ذلك الغزو للعالم الإسلامي آنذاك وتآلفت في الإعداد له والقتال في سبيله دول عديدة من المنظومة الأوروبية. عكس هذا الغزو الصليبي الذي جندت له دول أوروبا وأمريكا كل منظمة الأمم المتحدة حتى قال قائلهم من لم يكن معه فهو مع الإرهاب في دبلوماسية جعلت دول العالم العربي والإسلامي تتهافت في الانضواء للواء الحملة الصليبية.

كان لاشتراك دول أوروبا في غزو العالم الإسلامي آنذاك وكان دافعهم الحقد والعداء للإسلام والمسلمين قادت لواء المبادرة آنذاك فرنسا ومن ثم تحالفت معها دول أوروبا الأخرى ولم تبق دولة إلا وضربت بسهم في تلك الحروب كما هو الحال الآن ولكن الذي يدعو للدهشة أن الحملة ضد العالم الإسلامي تشارك فيها دول العالم الإسلامي.

استطاعت الولايات المتحدة الآن أن تضرب الإسلام بالإسلام، وقد كان حجم الحرب كبيراً وأبعادها السياسية متعددة إلى جانب دوافعها السياسية والدينية. وهناك دوافع اجتماعية واقتصادية وهي لا تقل أهمية عن الدينية والسياسية. فالمجتمع الأوروبي في ذلك الوقت كان يعيش ظروفاً اجتماعية شجعت أن يستجيب لهذه الحروب الصليبية. لقد كانت الظروف الاقتصادية التي تمر بها أوروبا آنذاك تجعل المشاركة في هذه الحروب الصليبية مخرجاً من ضوائق اقتصادية تخنق المجتمع الأوروبي ومن النواحي الاجتماعية نجد أن المجتمع مقسم إلى فئات وطبقات:

أ - فئة رجال الدين.

ب- فئة المحاربين النبلاء والفرسان والأمراء.
ج- فئة الفلاحين وهم رقيق الأرض وهم الكثرة الساحقة والمسحوقة.

كان هناك ذلاً وضياعاً وهواناً أصاب القاعدة العريضة من الناس وعندما دعت الكنيسة للحروب الصليبية وجدت الإجابة من الناس هرباً من المعاناة والحياة الشاقة.

لقد كانت الحروب الصليبية آنذاك حروباً صارخة وواضحة وكان هدفها محو الإسلام والمسلمين. وقد كان العالم الإسلامي آنذاك شعوباً وحكاماً ضد هذه الحروب التي قدمت دون أي دبلوماسية. لقد تم استيلاء الصليبيين على عديد من مناطق العالم الإسلامي لما وجدوه من ظروف ساعدتهم في ذلك واستمرت لهم الغلبة قرنين من الزمان.

دارت المعارك بين حملة الصليب والدول الإسلامية في ذلك الوقت وكان دور صلاح الدين الأيوبي البطل المسلم واضحاً وكان قراره هو طرد الصليبيين من العالم الإسلامي لقد كان صلاح الدين رأساً للحكام جميعاً في عصره كأنه يمثل أمين منظمة الوحدة العربية أو منظمة المؤتمر الإسلامي وهي منظمة الآن تتفرج على الحرب وربما شجعت الاعتداء على الأبرياء في فلسطين.

واستطاع أن يوحد صفوف المسلمين وأفكارهم وأن يتجه بهم الاتجاه الصحيح في الوقوف أمام عدوهم التقليدي الصليبيين، واهتدى صلاح الدين إلى عوامل النصر على الصليبيين التي أهمها أمران توحيد صفوف المسلمين ورفع راية الجهاد في سبيل الله. ويمكن للمتابع أن يعد مقارنة بين الحروب الصليبية في عهدها الأول والحروب الصليبية الحالية وطبيعة كل منهما من حيث الأهداف في الحروب الصليبية الأولى لم يكن هناك غزو فكري للعالم الإسلامي حتى يؤثر في قادته لذلك كانت المسألة واضحة أمامهم وليس هناك دبلوماسية ولا علاقات خارجية ولا سفارات. والأوروبيون قادوا الحرب ضد الإسلام صراحة ولم تكن ضد الإرهاب كما هو شعارهم الآن كانت الحروب الصليبية تريد أن تستولي على الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً والآن الحرب وراء منابع البترول ومخزونه الاستراتيجي في العالم الإسلامي وتريد أن تستولي على المواقع الإستراتيجية في

الحرب الحديثة ولاسيما حرب الغرب بقيادة إسرائيل استطاعت أوروبا استمالة معظم حكام العالم الإسلامي إلى صفها بل الدبلوماسية الغربية دعت كل سفراء العالم الإسلامي للإفطار في البيت الأبيض لشراب اللبن الغربي بينما قادة الغرب يشربون الدم المسلم في كل من فلسطين وأفغانستان وبقاع أخرى.

وفي دبلوماسية ساذجة يهنئ بوش العالم الإسلامي بعيد الفطر المبارك وأظنه يهنئ الحكام لا الشعوب الإسلامية. إذ أننا كشعوب لا نمد اليد ليد ملطخة بدماء شهداء فلسطين ويصرح بوش بأنه ليس ضد الإسلام ولكنه ضد الإسلام عندما يمثل واقعاً كأن تقوم دولة إسلامية أو يطلق الشباب لحيته وأن يدعو إلى قيام مجتمع إسلامي يوفر الأمن والأمان والسلام للعالم. هنا فقط يكون بوش ضد الإسلام. فهو يريد إسلاماً علمانياً لا علاقة له بالحياة. وفي هذه الحالة مستعد هو وحليفه بلير ودول تحالفه أن يحشدوا كل العالم لضرب المسلمين وأن يبيدوا شعباً كاملاً في حرب النملة والفيل وذلك بحجة بحث عن شخص واحد لم تثبت إدانته بعد. الحروب الصليبية الحالية للأسف تجد لها أصدقاء في العالم الإسلامي ودول تقف معها وتمهد لها بل تبني لها قواعد في هذه الدول وهي هذه الدول تغض الطرف عن دولة إسرائيل التي تتوسع كل صباح جديد وهي النتاج الفعلي للحروب الصليبية الأولى التي استمرت حتى أسقطت الخلافة الإسلامية عام ١٩٢٤م ومن ثم زرعت إسرائيل في قلب العالم الإسلامي لتحمي المصالح الغربية.

تؤكد الدراسات أن الحروب الصليبية مستمرة واضحة وهي تغير شكلها ومن أساليبها.

ومن المؤكد أن الحروب الصليبية سواء كانت صارخة واضحة أو جاءت في ثياب دبلوماسية كما هو الحال في هذه الأيام هدفها واحد هو ضرب الإسلام والمسلمين تحركها نفس الأهداف القديمة ونسبة لأن عوامل النصر عليها قديماً لا تزال موجودة سوف يخرج من صلب هذه الأمة صلاح الدين من جديد ويضع حداً لكل هذه الغطرسة والاستبداد ولن يطول ليل هذه الأمة بإذن الله. إننا نرى أيام الانتصار قريبة طالما في هذه الأمة من يضحي بماله ونفسه في سبيل الله.

وطالما الشهداء يمضون إلى ربهم كل يوم في سبيل الحق. وهي ظاهرة صحية في أمة لن تموت وإن مات حكامها ووالوا الصليبيين وانخدعوا وخدعوا لدبلوماسية الغرب الأوروبي. يمكن للقارئ الكريم أن يراجع كتاب الغزو الصليبي للعالم الإسلامي لمؤلفه د. علي عبد الحليم محمود وكتاب المجتمع الإسلامي في عصر الحروب الصليبية لمؤلفه د. أحمد رمضان أحمد محمد وبالله التوفيق.